الاتحاد العربي للمدارس الخاصة
Arab Private Schools Federation

عاشوراء

يوم النجاة والدروس والعبر

360 KNO SMART SCHOOLING
ADVANCE THROUGH TECHNOLOGY

unicef

UNESCO
United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization

GenEx
Generational Education Exchange

تمكين TAMKEEN

UNIVERSITY OF VICTORIA
LONDON - UK

AMIEF
American International Education Federation

د. خميس بن عبيد العجمي

رئيس الاتحاد العربي للمدارس الخاصة

رئيس مجلس أمناء مدارس كينو الخاصة بسلطنة عمان

هل تساءلت يوماً لماذا قد يحمل الجوع أحياناً طعم الحرية؟

ولماذا قد يصبح الفراغ في المعدة امتلاءً في الروح؟

في يوم عاشوراء، تتكشّف لنا أسرار عجيبة عن معادلة إلهية لا يفهمها إلاّ من جربّها، معادلة تجيب عن كيفيّة تحوّل الحرمان لعطاء، والعطش لارتواء للروح... إنّه اليوم الذي علّم فيه التاريخ أنّ أعظم الانتصارات لا تُحقّق بامتلاء البطون، بل بتفريغها للّه...

فما السر وراء هذا التناقض الجميل؟ وكيف استطاع يوم واحد من الصيام أنْ يحمل وعداً إلهياً بمحو ذنوب عام كامل؟

أسئلة تحتاج منّا أن نتجاوز السطح، ونغوص في أعماق الحكمة الإلهية لنكتشف أنّ وراء كلّ عبادة حكمة، ووراء كلّ حكمة رحمة لا تُدرك إلاّ بالتجربة.

فيوم عاشوراء يحمل في طيّاته إرثاً إلهياً عظيماً يتجاوز مجرّد صيامه المستحبّ، ليكون شاهداً على سلسلة من نعماء النجاة التي امتنّ اللّه بها على أنبيائه عبر التاريخ، فهو يوم تتجلّى فيه سُنن اللّه الكونية في نصرة المؤمنين وخذلان الظالمين، ويوم تتراكم فيه الدروس التربوية والقيم الإنسانية التي تشكلّ وعي الأمة وضميرها، وقد وردت في كتب التفسير والسنن إشاراتٌ عديدة تربط هذا اليوم بأحداث كونية كبرى، جعلته موعداً متكرّراً لانتصار الإيمان على الطغيان، ومحطّة للتأمّل في حكمة اللّه وعدالته الإلهيّة.

فكانت قصة فلك سيدنا نوح أولى هذه المحطات التي لها ارتباط بيوم عاشوراء، فقد أشارت روايات المفسّرين كالطبري وابن كثير إلى أنّ استواء سفينة سيدنا نوح على جبل الجودي بعد الطوفان العظيم كان في يوم عاشوراء، فقد ورد عن ابن عباس رضي اللّٰه عنهما: "لما نضب الماء عن الأرض، استوت السفينة على الجودي يوم عاشوراء"، فقد كان هذا الحدث العظيم يحمل في طيّاته عبراً جليلة، فهو يمثّل نهاية عهد الطغيان والفساد، وبداية عهد جديد للبشرية قائم على الإيمان والتوحيد، فقد كانت نجاة سيدنا نوح ومن معه من المؤمنين في هذا اليوم تؤكّد سنّة اللّٰه في حفظ عباده المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ (الحاقة: 11).

ومن ثمّ جاءت قصة نار سيدنا إبراهيم، فقد ربطت بعض الروايات التاريخية بين حدث إلقاء سيدنا إبراهيم عليه السّلام في النار ويوم عاشوراء، إذ نجّى اللّٰه خليله إبراهيم من النّار التي أضرمت لإحراقه، وجعل النار برداً وسلاماً عليه في هذا اليوم المبارك، فقد كان هذا الحدث يحمل معجزة الإيمان وقوة اليقين، فتحوّلت أدوات الإحراق إلى سبب للخلاص، مؤكدة سنّة اللّٰه الثابتة: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ (الأنبياء: 69)، فكانت نجاة سيدنا إبراهيم سبباً لتعليمنا أنّ اللّٰه قادر على أنْ يجعل من أسباب الهلاك أسباباً للنجاة.

وهناك قصة نجاة سيدنا موسى، فقد كانت هذه الحادثة أقوى الروايات التي ثبتت عن النبي صلى اللّٰه عليه وسلم، إذ قال:"ذاك يوم نجّى اللّٰه فيه موسى وقومه، وأغرق فرعون وقومه" (رواه البخاري)، فقد كانت نجاة سيدنا موسى وبني إسرائيل من فرعون وجنوده في يوم عاشوراء تمثّل أعظم دروس التحرير في التاريخ، إذ انتصر المستضعفون المؤمنون على جبروت الطغاة، وتحقّقت معجزة تشقّق البحر، كما قال تعالى: ﴿فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لاَّ تَخَافُ دَرَكًا وَلاَ تَخْشَى﴾ (طه: 77)، فكان من هذا الحدث درس عظيم حول فكرة أنّ النصر الحقيقي ليس بالقوة المادية، وإنّما بالإيمان والثقة باللّٰه، وأنّ اللّٰه لا يخذل من توكّل عليه واعتصم به.

ناهيك عن قصّة عودة سيدنا يوسف، إلى سيدنا يعقوب، فقد ذكرت العديد من الروايات أنّ لقاء سيدنا يعقوب بسيدنا يوسف بعد الفراق الطويل كان في يوم عاشوراء، وكان هذا الحدث يحمل في طيّاته لطائف الأقدار الإلهية، إذ تحوّلت المحن إلى منح بعد طول انتظار، وتحقّق الوعد الإلهي: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ (يوسف: 21)، ففي قصة سيدنا يوسف مع أبيه تعلّمنا الصبر والثّقة باللّٰه، وأنّ الفرج قد يأتي بعد طول البلاء، وأنّ اللّٰه يدبّر الأمور بحكمته ورحمته.

ومن منظور آخر، فإنّ ليوم عاشوراء وصيامه عدد من الفضائل الدينية التي تعود على فاعلها بطيب الأثر، ومنها نيل الأجر والثواب، فقد سُئل رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم عن صوم يوم عاشوراء، فقال: "يُكفِّر السنة الماضية" (رواه مسلم)، وهذا الحديث يؤكّد الفضل العظيم لصيام هذا اليوم، إذ يكفّر ذنوب سنة كاملة، وهذا من فضل اللّٰه ورحمته بعباده، أنْ جعل في أعمال يسيرة أجوراً عظيمة.

فضلاً عن كونه يرتبط بإحياء سُنة النبي صلى اللّٰه عليه وسلم، إذ كان يحرص أيّما حرص على صيام يوم عاشوراء، فكما ورد في قول ابن عباس: "ما رأيت النبي صلى اللّٰه عليه وسلم يتحرّى صيام يوم فضَّله على غيره إلاّ هذا اليوم، يوم عاشوراء، وهذا الشّهر، يعني شهر رمضان" (رواه البخاري)، فهذا الحديث يؤكّد أهمية هذا اليوم في السُّنة النبوية، ويحثّنا على اتّباع هدي النبي صلى اللّٰه عليه وسلم في تعظيم هذا اليوم.

ومن ثمّ فإنّ في صيامه مخالفة لأهل الكتاب، إذ يقول النبي صلى اللّٰه عليه وسلم: "لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع" (رواه مسلم)، وفي رواية أخرى: "صوموا يوماً قبله أو يوماً بعده، خالفوا اليهود" (رواه أحمد)، وهذا يعلّمنا أهميّة التميّز في عباداتنا وعدم التّشبه بغير المسلمين في طقوسهم الدينية.

ARAB-PSF.COM

ومن زاوية روحية وتربوية فإنّ صيام عاشوراء يعكس العديد من الأبعاد الروحيّةو منها؛ تربية النفس على شكر النعم، فهو صيام شكر للّٰه على نجاة الأنبياء وانتصارهم على أعدائهم، فكما قال النبي صلى اللّٰه عليه وسلم: "فنحن نصومه تعظيماً له" (رواه مسلم)، وهذا يعلّمنا أنّ الشكر ليس مجرّد قول باللسان، وإنّما عمل بالجوارح وتقرّب إلى اللّٰه بالطاعات، ومن ثمّ فإنّ فيه تربية على الصبر والثبات، ففي قصص الأنبياء في يوم عاشوراء تربية للمؤمن على الصبر والثبات أمام المحن والابتلاءات مهما اشتدت الظروف، وفيه تقوية للروابط مع التاريخ الإيماني، فصيام عاشوراء يربط قلوب المؤمنين بتاريخهم الإيماني، ويذكّرهم بسنن اللّٰه في الكون، وبأنّ النّصر مع الصّبر، وأنّ الفرج مع الكرب، وأنّ العسر يتبعه اليسر.

وهناك جوانب لصيام عاشوراء ترتبط بالبُعد الإنساني والاجتماعي، منها تأكيد قيم العدالة الإلهيّة، فأحداث عاشوراء تؤكّد انتصار الحقّ على الباطل، والعدل على الظلم، وهذا يربّي في المؤمن حسّ العدالة ومناصرة المظلومين ومقاومة الظالمين، وكذلك التضامن مع المستضعفين في الأرض، والوقوف معهم ضد الطغاة والظالمين، وهذا بُعد إنساني عظيم يتجاوز الحدود الدينية والعرقية، وهنالك بثّ الأمل في المستقبل في نفوس المظلومين والمستضعفين، والتأكيد بأنّ الظلم لا يدوم، وأنّ النصر آتٍ لا محالة للمؤمنين الصادقين.

هذا وقد انبثق عن فهمنا العميق لاحداث عاشوراء عدد من الدروس والعبر المستفادة ومنها؛ فهم سُنن اللّٰه الكونية التي لا تتغير ولا تتبدل، كسُنّة النصر للمؤمنين الصادقين، وسُنة الهلاك للطغاة والمفسدين، وسُنة التدافع بين الحق والباطل، وسُنة الابتلاء والامتحان للمؤمنين، وأهمية التوكلّ على اللّٰه لكونها سبب للنجاة والفلاح، وقوّة الدّعاء والتضرّع إلى اللّٰه وأثره في تغيير الأحوال ونزول النصر الإلهي، والثقة في وعد اللّٰه واليقين بأنّ النصر آتٍ لا محالة.

وإلى جانب ما سبق من عبر ودروس ، فإنّ لصيام عاشوراء فوائد أولّها روحية يظهر أثرها على النّفس من مثل تطهير النفس من الذنوب والمعاصي، وتقوية الإيمان وزيادة اليقين باللّه، وتربية النفس على الطاعة والانقياد لأوامر اللّه، والشّعور بالقرب من اللّه والأنس بذكره، وثانيها تربوية منها؛ تربية الإرادة والتحكم في الشهوات، وتعلّم الصبر والتحمل، وتقوية الشخصية والثبات على المبادئ، وتنمية الحس الأخلاقي والقيم النبيلة، وثالثها اجتماعية من مثل؛ تحقيق التكافل الاجتماعي والشعور بالفقراء، وتقوية الروابط الاجتماعية بين أفراد المجتمع، ونشر قيم التسامح والرحمة الإنسانيّة، وتعزيز الهوية الإسلامية والانتماء للأمة.

هذه ويستحبّ اتّباع عدد من الآداب وسنن الصيام في يوم عاشوراء، فيفضّل صيام يوم عاشوراء مع التاسع أو الحادي عشر، للمخالفة وعدم التشبه بأهل الكتاب، وأنْ تكون النيّة خالصة للّه تعالى، وأنْ يصوم المسلم هذا اليوم شكراً للّه وتعظيماً له، ويُستحبّ في هذا اليوم الإكثار من ذكر اللّه والدعاء والاستغفار، واستحضار أحداث هذا اليوم العظيم والاعتبار بها، والتوسعة على الأهل والعيال في هذا اليوم، ممّا يضفي جواً من البهجة والسرور بذكرى انتصار الحق على الباطل.

ختاماً،

لقد جمع يوم عاشوراء في سجله سلسلة من النجاة الإلهية التي تؤكّد حكمة اللّه في تدبير التاريخ وسننه في الكون، فهو يوم يذكّرنا بأنّ التاريخ الإنساني مسرح لصراع أزليّ بين الحقّ والباطل، وأنّ النصر في النهاية للحقّ وأهله، ولهذا شرّع النبي صلّى اللّه عليه وسلم صيامه شكراً للّه على هذه النعم العظيمة، وتعظيماً لهذا اليوم المبارك الذي شهد انتصارات عديدة للإيمان على الكفر.

فيوم عاشوراء عهد متجدّد بأنّ نصر اللّه يأتي في ساعات الشدة، وأنّ الفرج يقترن بالكرب، وأنّ العاقبة للمتّقين، فكما نقرأ في سطور تاريخ الأنبياء، نتعلّم أنّ الإيمان والصّبر والثّقة باللّه هي مفاتيح النجاة والفلاح في الدنيا والآخرة.

وفي النهاية، يبقى صيام عاشوراء محطة روحية سنوية يتزود فيها المؤمن بالإيمان واليقين، ويجدّد فيها عهده مع اللّه، ويستلهم من أحداثها الدروس والعبر التي تنير له طريق الحياة، وتؤكّد له أنّ العاقبة للمتقين.